المبحث التاسع

أثر الاعتقاد في أن الله ﷻ هو الحسيب

المعني اللغوي :

هو الكافى سبحانه جل شأنه .

المعنى المستخلص من القرآن الكريم :

بناء على استقراء آيات القرآن الكريم المتعلقة بتلك الصفة ، وفى حدود فهم الباحث لمعانيها العامة ، أمكن استخلاص المعنى العام لتلك الصفة فيما يلي :

«الله سبحانه وتعالى حسيب على كل ما يصدر من النفس رقيب عليها ، قائم بالحساب على مبادلات العباد ، يحاسب على إخلاص النصح في سبيله .. فلا ينبغى الخوف والخشية إلا منه.

خلق الشمس والقمر بحسبان، وأعان بتعاقب الليل النهار القدرة الحسابية لدى الإنسان.

سريع الحساب سبحانه وتعالى جل شأنه، سيجعل الإنسان يقر بحسابه بنفسه ، قبل أن يثاب أو يعاقب بأثر فعله .. إما في الجنة .. وإما في النار».

الأبعاد العقدية :

ترتيباً على المعنى العام المستخلص لتلك الصفة ، يمكن تحليل أبعادها العقدية على النحو التالي:

١ ـ الله سبحانه وتعالى حسيب على كل ما يصدر من النفس رقيب عليها حتى في مظاهر المجاملات.

٢ ـ قائم بالحساب على مبادلات العباد على نحو ما جاء في حقوق اليتامى ، فلا ينبغى الخوف والخشية إلا منه.

٣ ـ يحاسب على إخلاص النصح في سبيله .. فلا ينبغى الخوف والخشية إلا منه.

٤ ـ خلق الشمس والقمر بحسبان ، وأعان بتعاقب الليل النهار القدرة الحسابية لدى الإنسان.

٥ ـ الله سبحانه وتعالى سريع الحساب.

٦ ـ يقيم الله ﷻ الحجة على الإنسان، بأن يقر حسابه بنفسه ، قبل أن يثاب أو يعاقب بأثر فعله .. إما في الجنة .. وإما في النار .

دليل القرآن الكريم لكل بعد عقدى وبيان أثره الاقتصادى :

فيما يلي بيان دليل كل بعد من الأبعاد العقدية من آيات القرآن الكريم، ثم إيضاح الأثر الاقتصادي لكل منها :

البعد العقدى :

١ ـ الله سبحانه وتعالى حسيب على كل ما يصدر من النفس رقيب عليها حتى في مظاهر المجاملات:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[النساء: ٨٦].

الأثر الاقتصادي :

١ ـ الحس الحسابي ومتابعة القياس في كل التصرفات ، حتى المعنوية منها ، تورث في نفس المسلم الدقة في المعاملات والحرص على الأمانة فيها ، بما يخفف من آثار الضياع والتحويلات غير المشروعة في الاقتصاد القومي ، ويزيد من الثقة المتبادلة في المعاملات بما ينشط التبادل التجاري .

٢ ـ الاهتمام باستخدام أساليب القياس الرياضي أو المحاسبي لمؤثرات الظاهرة الاقتصادية والمعاملات المترتبة عليها، والتحسب لتوقعات المستقبل بالتخطيط الملائم في حدود درجة مقبولة من التحوط لعدم اليقين بالمستقبل وما سيئول إليه.

ولا يعد ذلك رجماً بالغيب .. لأن القياس المستقبلي بأحدث الأساليب الرياضية تقدماً يظل في دائرة التوقع المشروط بظروف المستقبل .. ولم يثبت حتى الآن مطابقة تامة بين توقعات القياس ونتائجه .. فالتنبؤ الرياضي أو الإحصائي هو مؤشر مساعد ، وليس تأكيداً لأمر مستقبلي

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾
[النمل: ٦٥]

البعد العقدى :

٢ ـ الله ﷻ قائم بالحساب على مبادلات العباد على نحو ما جاء في حقوق اليتامى ، فلا ينبغى الخوف والخشية إلا منه :

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾
[النساء: ٦]

الأثر الاقتصادي :

أهمية الدقة في حساب العلاقة المالية بين كافل اليتيم وماله ، بحيث يضع في اعتباره أن الله ﷻ ، سيقوم بمراجعة دقته وضبط حساباته ، والصفة الربانية للحسيب سبحانه وتعالى هنا تورث في النفس ترهيبا وتخويفا من انفلات الدقة المحاسبية في القياس المتصل بالأنشطة الاقتصادية عامة ، والذى قد يتلاعب به بعض أصحاب الحقوق فيما بينهم .

فالخوف من الحسيب سبحانه وتعالى يورث في النفس خشية التساهل في الدقة المحاسبية ، أو الخيانة فيها ، بما يحد من آثار التضليل المحاسبي الذي قد يستهدف:

- التهرب من الأداء الضريبي مثلا ، فيعود بالخسارة على تمويل النفقات العامة، ويؤدى لانحسار الأداء الحكومي ، بما ينعكس سلبا على النشاط الاقتصادي.
- أو قد يراد به تضليل المستثمرين فى البورصة بما يغير من قيمة الأسهم والسندات على غير سند من الواقع كما حدث في أكثر من شركة في الولايات المتحدة الأمريكية بإعانة مزورة من مكتب مراجعة عالمي شهير .

البعد العقدى :

٣ ـ يحاسب الله جل شأنه على إخلاص النصح في سبيله .. فلا ينبغى الخوف والخشية إلا منه .

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[الأحزاب: ٣٩].

الأثر الاقتصادي :

إخلاص النصح خلال أداء العمل وحين التعامل مع العملاء يجعل الجميع فى حالة من الترقب لكل ما فيه كفاءة فى الأداء ومزيد من الإنتاج ، والثقة التى يحظى بها المنتج والبائع من أثر إخلاص نصحه للمتعاملين معه ينعكس أثرها فى مزيد من إقبال العملاء ، وتوسع دائرة النشاط .

البعد العقدى :

٤ ـ خلق الشمس والقمر بحسبان ، وأعان بتعاقب الليل النهار القدرة الحسابية لدى الإنسان :

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[الأنعام: ٩٦].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
[يونس: ٥]

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾
[الإسراء: ١٢]

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[الرحمن : ٥].

الأثر الاقتصادي :

من أثر تعاقب الليل والنهار ، وتبادل الشمس والقمر ، تعلم الإنسان كيف يحسب ، وكان لذلك أثره في التبادل والتداول الاقتصادي ، القائم على الحساب المتبادل .

وبغير الحساب الدقيق تتعقد المعاملات والمبادلات المالية وتضيع الحقوق وتؤكل أموال الناس بالباطل .

البعد العقدى :

٥ ـ الله سبحانه وتعالى سريع الحساب :

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦٢]

﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[إبراهيم: ٥١]

الأثر الاقتصادي :

هناك صفات ربانية لا يصح التمثل بها ، وهناك صفات أخرى يجوز التمثل بها على نحو ما جاء فى وصف النبى ﷺ بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم ، ولا بأس فى التأثر بالصفات الربانية فى التوجه الإيجابى فى الحياة .

وسرعة الثواب والعقاب من خلال التنظيم الإدارى الجيد ينعكس أثرها فى تشجيع المبادرات المؤدية إلى تطوير الإنتاج وزيادته ، كما تحول سرعة العقاب دون تفاقم المشاكل والتصرفات السلبية بما يحد من الخسائر ويحفظ للنشاط الإنتاجى تدفقه وحيويته .

البعد العقدى :

٦ ـ يقيم الله ﷻ الحجة على الإنسان ، بأن يقرأ حسابه بنفسه ، قبل أن يثاب أو يعاقب بأثر فعله .. إما في الجنة .. وإما في النار .

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾[الإسراء: ١٤].

﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]

الأثر الاقتصادي:

١ ـ يرتب هذا الأصل الإيماني الحذر والخوف في نفس المؤمن ، من أن تزيد ذنوبه في الميزان عن حسناته ، والتنبه إلى دقة الحساب وحساسية الميزان والقياس، مما يؤدى به رهافة الحس المحاسبي لديه ، بما يورث في النفس الوعى بأساليب القياس ، والتى هى من بين الأدوات التى يستعين بها الاقتصاديون والمحاسبون في دراسة الظاهرة الاقتصادية ، من خلال الأسلوب الرياضي ، أو الأسلوب المحاسبي .. أو غير ذلك .

٢ ـ التأكيد على أهمية إقرار الإنسان بخطئه قبل أن يحاسب عليه ، هامة في مجال إدارة النشاط الاقتصادي من حيث ، مراحل تقرير العقاب بحيث يعرف العامل خطأه ويقر به ، قبل أن يعاقب حتى يمكنه أن يصحح من سلوكه وأدائه الإداري .

كما أن هذا الأسلوب من المكاشفة حين يطبق في مجال التقييم الإداري الدوري لأداء العاملين ، أو بما يعرف بالتقارير السرية، يؤدى إلى صعوبة التجنى على العاملين لاعتبارات شخصية ، ويحد من الأخطاء الإدارية بإعطاء العامل فرصة تصحيح موقف خاطئ أو فهم مغلوط، ودفع الهمة لديه لتحسين أدائه وتلافى عيوبه في المستقبل.

وكل ذلك من شأنه أن يرفع من كفاءة الأداء الاقتصادي، ويحفظ الثروة القومية من التسيب والضياع.